دراسة مقارنة عن الكتابات العربية والإنجليزية في مجال الدعوة والدراسات الإسلامية
(أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها أنموذجاً)

إعـــداد الأستاذ الدكتور

حصة عبدالكريم الزيد

أستاذ الدعوة والاحتساب في قسم الدراسات الإسلامية

كلية الآداب - جامعة الأميرة نورة بنت عبدالرحمن

الملخص :

- خلال المقارنة بين الكتابات التي تناولت سيرة أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها ومواقفها الدعوية، تبين أن هناك الكثير من التشابه في هذه الكتابات حيث يمكن الإشارة إليها ببعض النقاط: أن سيرة أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها مثلت للكثير من الباحثين سواء كانوا مسلمين أو غيرهم نموذجا للمرأة المسلمة الحقيقية التي طبقت تعاليم الإسلام كما عرفتها وأدركتها بعيشها في كنف النبي صلى الله عليه وسلم، وتعلمها منه خلال مايقارب عشر سنوات. كما أن سيرتها قدمت المرأة المسلمة المتسامحة صاحبة الحقوق المتساوية بعيداً عن تهويلات المستشرقين والآفاقين ممن يدعو الإسلام وساروا في ركاب هؤلاء المستشرقين مدعين أن الإسلام يحتقر المرأة وينتقص منها ومن حقوقها الإنسانية، الدراسات والأبحاث التي تناولت سيرة أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها كان لها جانبين سواء كانت باللغة العربية أو الإنجليزية، الجانب الأول كتابات حيادية منصفة أشارت إلى الوقائع والأحداث بتجرد وبعيداً عن الأهواء والتعصب والتحزب، فجاءت خلاصة أبحاثهم ودراستهم متطابقة مع الوقائع التي وردت في كتب الصحاح، وكتابات أخرى نظرت إلى مشاركات أم المؤمنين السياسية ومواقفها على أنها تدخلات لاتعني المرأة ولاشأن لها بها

Abstract :

- The comparison between the writings that dealt with the biography of the mother of believers Aisha, may Allah be pleased with her positions and advocacy, it turns out that there is a lot of similarities in these writings can be referred to some points: The biography of the mother of the believers Aisha, may Allah be pleased with it represented many researchers, whether Muslims or others A model of true Muslim women who applied the teachings of Islam as I knew and realized by living under the Prophet peace be upon him, and learned from him during nearly ten years. Also her biography provided Muslim women tolerant equal rights

Far from the revelations of Orientalists and prospects who call for Islam and walked in the passengers of these orientalists claiming that Islam despises women and detracts from their human rights, studies and research that dealt with the biography of the mother of believers Aisha, may Allah be pleased with it had two aspects, whether in Arabic or English, She pointed to the facts and events impartially and away from the whims, fanaticism and partisan, came the conclusion of their research and study are identical with the facts contained in the books of the Sahih, and other writings looked at the participation of the mother of political believers and positions as interventions do not mean women and Like her out

المبحث الأول: مدخل البحث

**** مقدمة:**

يعد مركز جنوب أسيا والشرق الأوسط **Center for South Asian and Middle Eastern Studies** في جامعة أليينوي بمدينة شامبين **University of Illinois** أحد المراكز المهتمة بالدراسات الإسلامية ويتبعه مركز الدراسات الدولية **The Center for Global Studies (CGS)** الذي تولى التنسيق لتوفير المادة العلمية باللغة الإنجليزية، حيث يتوفر لدى الجامعة مكتبة ضخمة تصل إلى (١٣) مليون مجلد وبأكثر من ١٥٠ لغة، وتعد ثاني أكبر مكتبة على مستوى أمريكا متضمنة أكثر من (١٠٠) ألف مادة مابين مسموعة ومرئية ذات علاقة بلغات الشرق الأوسط مثل العربية والعبرية والتركية والكردية والفارسية، و١٥٠ ألف مجلد ومادة في لغات جنوب أسيا.

وقد تواصلت الباحثة مع مركز الدراسات الدولية التابع لمركز جنوب أسيا والشرق الأوسط لمعرفة إمكانية التعاون في إعداد بحث علمي عن نماذج من الجهود الدعوية لأم المؤمنين عائشة رضي الله عنها يتضمن مقارنة ماتم كتابته في اللغة الإنجليزية حول هذه النماذج وبين ماكتب عن هذه الجهود في اللغة العربية.

وبعد التواصل مع المركز وصل خطاب دعوة وتأييد لدراسة هذا الموضوع مع استعداد الجامعة لتوفير الإمكانيات للباحثة لكي تطلع على محتويات المكتبة

الضخمة عما هو مكتوب عن الإسلام بصفة عامة وعن الجهود الدعوية لأم المؤمنين عائشة رضي الله عنها بصفة خاصة، بما في ذلك توفير أمينة مكتبة متخصصة للمساعدة في تأمين الكتب الخاصة بالموضوع.

وفي الواقع عند بداية العمل توقعت صعوبة الحصول على معلومات متخصصة عن أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها، ولكن لعراقة الجامعة ولكونها أنشئت قبل (١٥٠) عاماً، فقد فوجئت بالكم الهائل من المعلومات والعناوين باللغتين العربية والإنجليزية المتوفرة في مكتبة الجامعة، حيث يتوفر لدى الجامعة قسم متكامل للدراسات الإسلامية والمخطوطات.

وبالرغم من العناوين الكثيرة، إلا أن معظم الموضوعات التي تناولتها الكتب والدراسات عن أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها ركزت على ثلاث جوانب رئيسة هي سيرتها وزواجها المبكر من رسول الله صلى الله عليه وسلم، وحادثة الأفك، كما أن معظم المعلومات مكررة بين الكتب التي توزعت مابين كتابات مستشرقين وكتاب مسلمون تناولوا إما سيرة أم المؤمنين عائشة لوحدها أو سيرة المصطفى صلى الله عليه وسلم.

ولكون جامعة ألينوى ممثلة في مركز الدراسات الدولية يتوفر لديها مئات الآلاف من الكتابات عن الإسلام بلغات متعددة بما فيها اللغة الإنجليزية، فقد اختارت الباحثة تناول نموذج مثالي من الصحابيات المؤمنات اللاتي كان لهن جهود عظيمة في ترسيخ مكانة الإسلام بصفة عامة، ومكانة المرأة في الإسلام بصفة

خاصة. وليس أولى وأفضل من الحديث عن أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها التي تعرضت للكثير من الهجوم نتيجة زواجها المبكر من الرسول صلى الله عليه وسلم، ومواقفها الثابتة في كثير من الأحداث التي شهدتها الخلافة الراشدة، هذا عدا روايتها للكثير من الأحاديث النبوية.

ولهذا رأت الباحثة اختيار نماذج من مواقف أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها الدعوية. حيث بدأت الباحثة بتقديم سيرة ذاتية مختصرة عنها، ثم تناولت عدداً من مواقفها الدعوية المتمثلة في علمها، وفضلها، وتصديها للفتوى للرجال والنساء، وجهودها في حفظ الدين وخدمة السنة النبوية، ومحبة الرسول صلى الله عليه وسلم لها، وورعها في الحديث بغير علم، وتوثيقها للمسائل الشرعية، ومعرفتها بأدب الحوار، والدقة في نقل الحديث النبوي، وأخيرا تعاملها مع حادثة الإفك. وفي نهاية البحث تم تقديم عدد من النتائج التي توصلت إليها الباحثة، وبيان الحقائق عن واحدة من أعظم نساء الإسلام التي دافعت عن حقوق المرأة، وحرصت على الاهتمام بها وبقضاياها، وشاركت مشاركة فاعلة في الكثير من الأحداث السياسية التي وقعت خلال تلك الفترة برأيها وبنفسها، وأخيرا تصحيح بعض المعلومات المغلوطة إن وجدت التي قد تقدم عن الإسلام والتاريخ الإسلامي باللغة الإنجليزية.

** **مشكلة البحث:**

تلخصت مشكلة البحث في أن كثيرا من الكتابات باللغة الإنجليزية عن الإسلام قد تكون بعيدة عن حقيقة ما يرتبط بالإسلام، وذلك لكون عدداً ممن كتبوا عن الإسلام في عصور مختلفة كانت تدفعهم للكتابة عنه أهواء ورغبات مختلفة، منها معرفة سبب انتشاره بين الأمصار بشكل سريع، أو خدمة لأهداف استشراقية بحتة، أو للتعرف على جواب النقص فيه إن وجدت ثم انتقاده خدمة لأهداف دينية أو استعمارية. كما أن معظم الكتابات باللغة الإنجليزية كانت أيضا لا تدقق في صحة الروايات، وتعتمد الحقائق التاريخية، وإنما تكتفي بنقلها وإن كانت تعتمد على مصادر غير دقيقة ثم تحليلها وفقاً لذلك، فاختلفت التحليلات لمواقف إسلامية كثيرة بين الكتابات باللغة العربية والكتابات الغربية وخاصة اللغة الإنجليزية.

ولكون أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها من أكثر الصحابيات اللاتي تعرضن للتشكيك والتجريح نتيجة لمواقفها الصلبة في حياة المصطفى صلى الله عليه وسلم، وبعد مماته، فقد جاءت الكتابات عن هذه المواقف زاخرة بالكثير من الآراء المتباينة حول هذه المواقف بين الكتابات باللغة العربية واللغة الإنجليزية.

** **أهداف البحث:**

سعى البحث لتحقيق الأهداف التالية:

١- بيان سيرة أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها.
٢- تعرف مكانة أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها عند الرسول صلى الله عليه وسلم.
٣- بيان ورع أم المؤمنين عائشة وحرصها على حفظ الدين وخدمة السنة من خلال روايتها للعديد من الأحاديث النبوية.
٤- بيان معرفتها بأدب الحوار ودقتها في نقل الحديث النبوي.
٥- الكشف عن كيفية تناول المراجع الإنجليزية لسيرة أم المؤمنين عائشة رضي عنها من خلال نماذج من المواقف الدعوية.
٦- تقديم تحليل مقارن بين ما هو مكتوب باللغة العربية عن هذه النماذج الدعوية لأم المؤمنين عائشة رضي الله عنها وبين ما هو مكتوب باللغة الإنجليزية.
٧- تقديم مقترحات وتوصيات من شأن الأخذ بها الإسهام في تصحيح الكثير من الصور السلبية عن المرأة المسلمة في المجتمعات الغربية.

** **أسئلة البحث:**

تمثلت أسئلة البحث في النقاط التالية:

١- ما مكانة أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها عند الرسول صلى الله عليه وسلم؟
٢- ما نوعية ورع أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها وحرصها على حفظ الدين وخدمة السنة؟
٣- ما مدى معرفتها بأدب الحوار ودقتها في نقل الحديث النبوي؟

٤- ما لفرق بين ما كتب عن نماذج من المواقف الدعوية لأم المؤمنين عائشة رضي الله عنها باللغة العربية وبين ما هو مكتوب باللغة الإنجليزية؟

**** منهج البحث:**

استخدمت الباحثة المنهج التاريخي الذي يصف ويسجل الوقائع والأحداث الماضية، ثم يدرسها ويحللها استناداً إلى أسسٍ منهجيّة وعلميّة دقيقة من خلال جمع الأدلة والمعلومات من مصادرها سواء كانت أولية أو ثانوية ومن ثم تمحيص هذه المعلومات ومقارنتها للتأكد من صحتها واستنتاج عددٍ من البراهين التي تظهر نتائج علميّة واضحة. (١) كما أن الباحثة استعانت بالأسلوب المقارن في مقارنتها لكتابات العربية والكتابات الأجنبية في مجال الدعوة، إضافة إلى استخدامها لأسلوب تحليل المحتوى عند تناولها لما كتب في مجال الدعوة باللغتين العربية والإنجليزية وبناء على التحليل تمت المقارنة.

(١) انظر منهج البحث التاريخي/ حسن عثمان/ دار المعارف/ القاهرة / الطبعة الثامنة ٢٠٠٠ ص ١٨

المبحث الثاني: سيرة أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها

نسبها:

هي أم المؤمنين عائشة بنت أبي بكر الصديق خليفة رسول الله صلى الله عليه وسلم، عبد الله بن أبي قحافة عثمان القرشي، بن عامر بن عمرو بن كعب بن سعد بن تيم بن مرّة بن كعب بن لؤي بن فهر بن مالك بن كنانة، أمّ عبد الله، القرشية، التيمية، المكية، ثم المدنية، زوجة النبي صلى الله عليه وسلم. وأمها أم رومان بنت عامر بن عويم الكنانية. كناها النبي صلى الله عليه وسلم أمّ عبد الله عندما طلبت منه أن يكون لها كنية تعرف بها ([1]).

وُلدت رضي الله عنها بمكة المكرمة، بعد البعثة بأربع سنين، أو خمس على اختلاف بين المؤرخين، ورجّح الندوي في كتابه عن أم المؤمنين عائشة أن ولادتها كانت في السنة التاسعة قبل الهجرة حيث أشار إلى أن: «أصح تاريخ لولادتها هو شهر شوال قبل الهجرة، الموافق يوليو (تموز) عام ٦١٤م، وهو نهاية السنة الخامسة من البعثة» ([2]).

(١) انظر سنن أبي داؤد، كتاب الأدب، باب في المرأة تكنى: ٤/ ٢٩٣، رقم الحديث: ٤٩٧٠، وسنن ابن ماجه، كتاب الأدب، باب الرجل يكنى قبل أن يولد له ٢/ ١٢٣١، رقم ٣٧٣٩

(٢) الدر الثمين من سيرة أم المؤمنين/ عائشة رضي الله عنها/ سليمان الندوي/ الطبعة الأولى ٢٠٠٩/ الكويت ص (١٨)

وقد أسلمت رضي الله عنها مع إسلام أبيها أبي بكر الصديق رضي الله. ولهذا فهي تعد من أوائل المسلمات، حيث أخرج البخاري في صحيحه عن عروة بن الزبير أن أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها قالت: «لم أعقل أبويّ إلا وهما يدينان الدين، ولم يمر علينا يوم إلا يأتينا فيه رسول اللّه صلى الله عليه وسلم طرفي النهار بكرة وعشية» (١)، فهي إذن لم تعقل دينا غير الإسلام. وهاجرت رضي الله عنها إلى المدينة بعدما هاجر رسول الله صلى الله عليه وسلم مع صاحبه ورفيقه ابوبكر الصديق رضي الله عنه، وعاشت في المدينة المنورة حتى وفاتها.

زواجها من الرسول صلى الله عليه وسلم:

لم تكن قصة زواج أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها قصة عادية، فلقد تزوجها وهي صغيرة، فقد ثبت في الصحيح أن النبي صلى الله عليه وسلم تزوج أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها وهي بنت ست سنين، ودخل بها وهي بنت تسع. جاء في صحيح البخاري عن عائشة رضي الله عنها قالت: تزوجني النبي صلى الله عليه وسلم وأنا بنت ست سنين فقدمنا المدينة فنزلنا في بني الحارث بن خزرج فوعكت فتمزق شعري فوفى جميمة فأتتني أمي "أم رومان " وإني لفي أرجوحة ومعي صواحب لي فصرخت بي فأتيتها لا أدري ماتريد بي فأخذت

(١) صحيح البخاري / كتاب الصلاة رقم الحديث ٤٧٦ كتاب المساجد، باب المسجد يكون في الطريق من غير ضرر بالناس: ١/ ١٠٢، رقم الحديث: ٤٧٦

بيدي حتى أوقفتني على باب الدار وإني لأنهج يتتابع نفسي حتى سكن بعض نفسي ثم أخذت شيئا من ماء فمسحت به وجهي ورأسي ثم أدخلتني الدار، فإذا نسوة من الانصار في البيت فقلن: على الخير والبركة وعلى خير طائر فأسلمتني إليهن فأصلحن من شأني فلم يرعني – أي : لم يفاجئني – الا رسول الله صلى الله عليه وسلم وضحى فأسلمتني اليه وأنا يومئذ بنت تسع سنين. (١)

كما أنه صلى الله عليه وسلم لم يطلبها، ولكن خولة بنت حكيم هي التي سألته صلى الله عليه وسلم عن ذلك، روى عبد الرحمن بن حاطب عن عائشة – رضي الله عنها – قالت: لما توفيت خديجة، قالت خولة بنت حكيم بن أمية بن الأوقص امرأة عثمان بن مظعون، وذلك بمكة: يا رسول الله! ألا تتزوج؟ قال: «من؟» قالت: إن شئت بكراً، وإن شئت ثيباً، قال: «فمن البكر؟» قالت: ابنة أحب خلق الله إليك عائشة بنت أبي بكر، قال: «ومن الثيب؟» قالت: سودة بنت زمعة، آمنت بك واتبعتك على ما أنت عليه، قال: «فأذهبي فاذكريهما علي» فجاءت فدخلت بيت أبي بكر، فوجدت أم رومان أم عائشة، فقالت: يا أم رومان! ماذا أدخل الله عليكم من الخير والبركة؟ أرسلني رسول الله صلى الله عليه وسلم أخطب عائشة، قالت: وددت انتظري أبا بكر؛ فإنه آت، فجاء أبو بكر، فقالت: يا أبا بكر! ماذا أدخل الله عليكم من الخير والبركة؟ أرسلني رسول الله صلى الله عليه وسلم أخطب عليه عائشة، قال: هل تصلح له؟ وإنما هي بنت أخيه، فرجعني إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فذكرت ذلك له، فقال:

(١) صحيح البخاري / كتاب المناقب برقم ٣٨٩٤ وصحيح مسلم برقم ١٤٢٢.

«ارجعي إليه، فقولي له: أنت أخي في الإسلام وأنا أخوك وابنتك تصلح لي» فأتت أبا بكر، فقال لخولة: ادعي لي رسول الله صلى الله عليه وسلم فجاء فأنكحه....). (١)

وقد أقامت عائشة رضي الله عنها في صحبة النبي صلى الله عليه وسلم ثمانية أعوام وخمسة أشهر، وكان لها مكانة خاصة في قلبه صلى الله عليه وسلم، لكونها ابنة صاحبه أبي بكر الصديق، وكانت أيضًا أحب زوجاته إليه، ولما سأله عمرو بن العاص رضي الله عنه فقال: أي الناس أحب إليك؟ قال: «عائشة»، قال: من الرجال؟ قال: «أبوها». (٢)

وزواجه صلى الله عليه وسلم من أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها كان لحكمة عظيمة، فهي البكر الوحيدة التي تزوجها، وكان ذلك بعد وفاة أم المؤمنين خديجة رضي الله عنها والتي كانت تؤويه وتنصره، وتعينه وتقف إلى جانبه في أحلك المواقف، حتى سمي ذلك العام الذي توفيت فيه بعام الحزن. ثم أن رسول الله صلى الله عليه وسلم رأى رؤيا في المنام أنه يتزوج عائشة رضي الله عنها، حيث ثبت في صحيح البخاري أنه صلى الله عليه وسلم رأى عائشة رضي الله عنها في

(١) صحيح البخاري/ كتاب النكاح ٥٠٨١/ باب تزويج الصغار من الكبار.

(٢) صحيح البخاري، كتاب المناقب، باب قول النبي – صلى الله عليه وسلم –: {لو كنت متخذا خليلا} : ٥/ ٥، رقم الحديث: ٣٦٦٢، ومسلم في صحيحه، كتاب فضائل الصحابة، باب من فضائل أبي بكر الصديق – رضي الله عنه – : ٤/ ١٨٥٦، رقم الحديث: ٢٣٨٤

المنام قبل زواجه بها، ففي الحديث عنها رضي الله عنها قالت: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «أريتك في المنام ثلاث ليال، جاءني بك الملك في سرقة من حرير، فيقول: هذه امرأتك، فأكشف عن وجهك، فإذا أنت هي، فأقول: إن يك هذا من عند اللّه يمضه» (١).

يضاف إلى ذلك ما رآه صلى الله عليه وسلم في عائشة رضي الله عنها من أمارات ومقدمات الذكاء والفطنة في صغرها، فأحب الزواج بها لتكون أقدر من غيرها على نقل أحواله صلى الله عليه وسلم وأقواله، وبالفعل فقد كانت رضي الله عنها مرجعا للصحابة رضي الله عنهم في شؤونهم وأحكامهم. ولايمكن إغفال محبة النبي صلى الله عليه وسلم لأبيها أبي بكر الصديق رضي الله عنه، وما ناله رضي الله عنه في سبيل دعوة الحق من الأذى الذي صبر عليه، فكان أقوى الناس إيمانا، وأصدقهم يقينا على الإطلاق بعد الأنبياء،كما يلاحظ في مجموع زواجه صلى الله عليه وسلم أن من بين زوجاته الصغيرة، والمسنة، وابنة عدو لدود، وابنة صديق حميم، ومنهن من كانت تشغل نفسها بتربية الأيتام، ومنهن من تميزت على غيرها بكثرة الصيام والقيام، فهن نماذج لأفراد الإنسانية،

(١) صحيح البخاري/ كتاب التعبير برقم ٧٠١٢/، وكتاب المناقب برقم ٣٨٩٥ وكتاب النكاح برقم ٥٠٧٨، والإمام مسلم في كتاب فضائل الصحابة برقم: ٢٤٣٨.

ومن خلالهن قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم للمسلمين تشريعا فريدا في كيفية التعامل السليم مع كل نموذج من هذه النماذج البشرية. ([1])

علمها وفضلها:

تبوأت أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها مكانة علمية رفيعة بزواجها وصحبتها للرسول صلى الله عليه وسلم مما جعلها من أعظم نساء العصر في وقتها، فتصدت للفتيا وعمرها لم يتجاوز ثمانية عشر عاماً، وهو العام الذي مات عنها رسول الله صلى الله عليه وسلم، فكانت مرجعاً في العلم يرجع إليها الصحابة للاستفسار عما يشكل عليهم من أقوال الرسول صلى الله عليه وسلم أو أفعاله، بل وحتى في مسائل في القرآن والحديث والفقه، فيجدون لدى أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها الجواب الشافي لهذه الأسئلة والاستفسارات كيف لا وهي كانت ملازمة له صلى الله عليه وسلم طوال ثمانية أعوام وخمسة اشهر. قال الحافظ ابن حجر "وقد مات عنها رسول الله صلى عليه وسلم ولها نحو ثمانية عشر عاما، وقد حفظت عنه شيئا كثيرا، وعاشت بعده قرابة خمسين سنة، فأكثر الناس الأخذ منها، ونقلوا عنها من الأحكام والآداب شيئا كثيرا، حتى قيل: إن ربع

(١) انظر السيرة النبوية في ضوء المصادر الأصلية/ دراسة تحليلية د. مهدي رزق الله أحمد/ مركز الملك فيصل للدراسات والبحوث الإسلامية/ الرياض الطبعة الأولى ١٤١٢ ص٧١١، وانظر (زاد المعاد/ ابن القيم الجوزية / الجزء الأول/ مؤسسة الرسالة/ بيروت/ الطبعة الثالثة ١٤١٨/ صفحة (١٠٦).

الأحكام منقول عنها رضي الله عنها" (١)، فتفقه على يديها، وروى عنها الحديث جماعة كثيرة من الصحابة والتابعين رضي الله عنهم أجمعين.

وكان كبار الصحابة رضوان الله عليهم يحفظون هذا الفضل والأسبقية لأم المؤمنين عائشة رضي الله عنها، ويعدونها من أكبر فقهاء الصحابة، والمرجع الأول في الحديث والسنة، والفقيهة الأولى في الإسلام، فقد ورد في الصحيح عن أبي موسى الأشعري قال: فضل عائشة على النساء كفضل الثريد على سائر الطعام (٢). وقال أيضاً: «ما أشكل علينا أصحاب رسول اللّه صلى الله عليه وسلم حديث قط، فسألنا عائشة إلا وجدنا عندها منه علما" (٣)، وقال أبو سلمة بن عبد الرحمن: «ما رأيت أحدا أعلم بسنن رسول الله صلى الله عليه وسلم، ولا أفقه في رأي إن احتيج إلى رأيه، ولا أعلم بآية فيما نزلت، ولا فريضة من عائشة». (٤) قال عطاء – رضي الله عنه –: (كانت عائشة أفقه الناس، وأعلم الناس، وأحسن الناس رأيًا في العامة) (٥) وقال الإمام الزُّهري" :لو جُمِع علمُ عائشة إلى علم جميع أزواج النبي – صلى الله عليه وسلم – وعِلم جميع

(١) فتح الباري (١٠٧/٧).
(٢) صحيح البخاري ٤/ ٢٠٠، ٥/ ٣٦، ٧/ ٩٧، ٩٨ .
(٣) رواه الترمذي في سننه، ج٥/٧٠٥.
(٤) رواه ابن أبي شيبة في كتاب الأدب (١ /٤٨٥) رقم (٣٩٥)، والطبقات الكبرى لابن سعد (٢ /٣٧٥).
(٥) المستدرك على الصحيحين، ج٤/١٥.

النساء، لكان علم عائشة أفضل." (١) وقال عنها عروة بن الزبير -ابن اختها أسماء " :-ما رأيت أحدًا من الناس أعلم بالقرآن، ولا بفريضة، ولا بحلال وحرام، ولا بشِعر، ولا بحديث العرب، ولا النسب من عائشة رضي الله عنها."(٢)

(١) سير أعلام النبلاء (٢/١٤١)

(٢) حلية الأولياء وطبقات الأصفياء، لأبي نعيم الأصبهاني (٤٩/٢)، والإصابة في تمييز الصحابة، للحافظ ابن حجر

المبحث الثالث: جهود أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها الدعوية

**** صفات أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها:**

لم تفتر أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها عن الاستفادة من صحبتها للرسول الله عليه وسلم ومعيشتها في منزله، فكانت حريصة على مراقبة جميع تصرفاته، دائمة السؤال والاستفسار منه صلى الله عليه وسلم عن دقائق أفعاله ومعاني أقواله. وهذا نابع من ذكائها وفطنتها على تتبع السنة النبوية وتسجيلها حتى تنقلها إلى أمة محمد صلى الله عليه وسلم. كيف لا وهي حبيبة رسول الله وزوجه التي عاشت معه قرابة التسعة أعوام. ولهذا نجد أن لأم المؤمنين عائشة رضي الله عنها جهوداً دعوية متواصلة سواء في حياته صلى الله عليه وسلم أو بعد مماته. وقبل رصد جهودها الدعوية، لابد من الإشارة إلى عدد من المميزات التي طبعت سيرتها رضي الله عنها مما مكنها من أن تكون أفضل نساء عصرها علماً وحفظا وفقهاً. ومن هذه المميزات:

– قوة الذاكرة وسرعة الحفظ:

تميزت أم المؤمنين رضي الله عنها بقوة الذاكرة والذكاء، والقدرة على سرعة الحفظ من سنواتها الأولى، فقد منحها الله تبارك وتعالى ذكاء وذاكرة قوية، وحفظاً سريعاً مما ميزها عن سائر النساء، ومكنها من حفظ ونقل السنة النبوية بدقة. وقد لمس

رسول الله صلى الله عليه وسلم فيها هذه الميزة من قوة الذاكرة وسرعة الحفظ، فكان حريصاً على الإجابة على استفساراتها، وتعليمها جوانب فقهية كثيرة مما يحدث له صلى الله عليه وسلم في حياته اليومية، أو مع أصحابه في المسجد أو أثناء غزواته لنشر الإسلام، فكانت نعم الصاحب والمعين في كل هذه الأمور.

– فصاحة اللسان وقوة اللغة:

ولاغرابة في ذلك فقد ولدت ونشأت في بيت والدها ابي بكر الصديق رضي الله عنه فأخذت منه علم الأنساب والشعر حيث كان من أعلم قريش بالأشعار، والأنساب؛ ولذلك كانت الوفود تأتيه من كل مكان قال الحافظ ابن كثير رحمه الله: " كان رجلاً مؤلفاً لقومه محبباً سهلاً، وكان أنسب قريش لقريش، وأعلم قريش بما كان فيها من خير وشر، وكان رجلاً تاجراً ذا خلق معروف، وكان رجال قومه يأتونه ويألفونه لغير واحد من الأمر لعلمه، وتجارته، وحسن مجالسته[1]. فحفظت من الأشعار وأخبار العرب الشيء الكثير.

ويضاف إلى ذلك فصاحتها ومعرفتها القوية باللغة العربية مما ساعدها على فهم القرآن الكريم وتدبر معانيه، فتمكنت رضي الله عنها من الجمع بين الأدلة وفهم الشريعة وعلوم العربية. ومن ذلك ما رواه عروة عن عائشة رضي الله عنها قال قلت: أرأيت قول الله عز وجل ﴿ إِنَّ الصَّفَا وَالْمَرْوَةَ مِنْ شَعَائِرِ اللَّهِ فَمَنْ حَجَّ

(١) البداية والنهاية، للحافظ ابن كثير(٢٩/٣).

الْبَيْتَ أَوِ اعْتَمَرَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِ أَنْ يَطَّوَّفَ بِهِمَا ﴾ (١) قال قلت: فوالله ما على أحد جناح أن لا يطوف بهما، فقالت عائشة: بئسما قلت يا ابن أختي إنها لو كانت على ما أوّلَتها كانت فلا جناح عليه أن لا يطوف بهما، ولكنها إنما أُنزلت أن الأنصار كانوا قبل أن يسلموا يهلون لِمَنَاةَ الطاغية التي كانوا يعبدون عند المشلل، وكان من أهل لها يتحرج أن يطوف بالصفا والمروة، فسألوا عن ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا: يا رسول الله إنا كنا نتحرج أن نطّوف بالصفا والمروة في الجاهلية، فأنزل الله عز وجل: (إن الصفا والمروة من شعائر الله إلى قوله فلا جناح عليه أن يطوف بهما) قالت عائشة ثم قد سن رسول الله صلى الله عليه وسلم الطواف بهما، فليس ينبغي لأحد أن يدع الطواف بهما (٢)

– نشأتها في بيت النبوة:

نشأت أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها في بيت النبوة بيت العلم وتلقي المعرفة، فشاهدت أحوال النبي صلى الله عليه وسلم وتعرفت على جميع شؤونه الخاصة، وأطلعت على أخباره وأحواله، فعرفت كيف يتصرف صلى الله عليه وسلم في أمور دينه ودنياه، فتعلمت منه حكمته وكيفية تعامله فيما يُعرض عليه صلى الله عليه وسلم أو يُعلَّمه لأصحابه، فنقلت لنا رضي الله عنها الكثير من الأحاديث

(١) سورة البقرة آية ١٥٨.

(٢) صحيح مسلم ج ٩٢٩/٢.

النبوية مما كان يقوله أو يفعله أو يقَّره صلى الله عليه وسلم. ولمعرفة الصحابة رضوان الله عليهم ذلك، كان يحيلون إليها جميع مايتعلق بأحوال الرسول صلى الله عليه وسلم، حتى أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه كان يحيل إليها كل ما يتعلق بأحوال النبي البيتية، أو بأحكام النساء، هذا خلاف معرفتها الواسعة بعلم الفرائض، قال الزهري "لو جمع علم عائشة إلى علم جميع النساء لكان علم عائشة أفضل ([1])، وقال الحاكم في المستدرك (مَا رَأَيْتُ أَحَدًا أَعْلَمَ بِالْحَلَالِ وَالْحَرَامِ وَالْعِلْمِ وَالشِّعْرِ وَالطِّبِّ مِنْ عَائِشَةَ أُمِّ الْمُؤْمِنِينَ). ([2])

– محبة الرسول صلى الله عليه وسلم لها:

لم يكن رسول الله صلى الله عليه وسلم يخفي حبه لأم المؤمنين عائشة رضي الله عنها، بل كان يعلنه وهو شيء طبيعي كونها ابنة خليله وصاحبه ابوبكر الصدريق رضي الله عنه، والبكر الوحيدة التي تزوجها، فقد ورد عن عَمْرو بْن العَاصِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: أَنَّه سأل النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فقال له: "أَيُّ النَّاسِ أَحَبُّ إِلَيْكَ؟، قَالَ: (عَائِشَةُ)، قال: فَقُلْتُ: مِنَ الرِّجَالِ؟، فَقَالَ:

(١) أنظر سير أعلام النبلاء / الصحابة رضوان الله عليهم / عائشة أم المؤمنين (٧/٩)
(٢) المستدرك على الصحيحين للحاكم رقم (٧٦٣٣).

(أَبُوهَا)([1])، وكذلك قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «عائشة زوجي في الجنة» ([2]).

ومن محبته صلى الله عليه وسلم لعائشة رضي الله عنها اختياره أن يمرض في دارها، ووفاته في بيتها، بين سحرها ونحرها، واجتماع ريقه وريقها في آخر ساعة له من الدنيا، ودفنه في بيتها، فعنها رضي الله عنها: أنَّ رسولَ الله صلى الله عليه وسلم كان يسأل في مرضه الذي مات فيه، يقول: «أين أنا غداً» -يريد يوم عائشة – فأَذن له أزواجه أن يكون حيث شاء، فكان في بيت عائشة حتى مات عندها، قالت عائشة: فمات في اليوم الذي كان يدور عليَّ فيه في بيتي، فقبضه الله عز وجل وإن رأسه لبين نحري وسحري، وخالط ريقه ريقي، دخل عبد الرحمن بن أبي بكر، ومعه سواك يستن به، فنظر إليه رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقلت اعطني له هذا السواك ياعبدالرحمن فاعطانيه، فقضمته، ثم مضغته، فاعطيته رسول الله فاستن به وهو مستند على صدري. ([3])

(١) صحيح البخاري رقم (٣٦٦٢) ، وصحيح مسلم رقم (٢٣٨٤)

(٢) أخرجه ابن أبي شيبة في مصنفه، كتاب الفضائل، ما ذكر في عائشة رضي الله عنها: ٣٨٩/٦، رقم الحديث: ٣٢٢٧٥

(٣) صحيح البخاري، كتاب المغازي، باب مرض النبِي صلى الله عليه وسلم ووفاته: ٦/ ١٣، رقم الحديث: ٤٤٥١، وصحيح مسلم، كتاب فضائل الصحابة رضي الله عنهم باب في فضل عائشة رضي الله عنها :٤/ ١٨٩٣، رقم الحديث: ٢٤٤٣

– تسأل الرسول صلى الله عليه وسلم عما يشكل عليها:

كان معلم البشرية محمد صلى الله عليه وسلم موجوداً في بيت أم المؤمنين عائشة رضي عنها وفي صحبتها معظم الأوقات، كما أن حجرتها كانت ملاصقة لمسجده صلى الله عليه وسلم، ولهذا تحرص على الاقتراب من جدار المسجد للاستماع إلى مايقوله صلى الله عليه وسلم لأصحابه، وحين ترغب في الاستزادة من موضوع معين، أو التأكد منه كانت تستفسر من النبي صلى الله عليه وسلم عندما يأتي إلى بيتها، فقد ورد في صحيح البخاري أن عائشة رضي الله عنها كانت لا تسمع شيئا لا تعرفه إلا راجعت فيه حتى تعرفه وأن النبي صلى الله عليه وسلم قال: (من حوسب عذب)، قالت عائشة: فقلت أوليس يقول الله تعالى: {فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَابًا يَسِيرًا} (١)، قالت فقال: (إنما ذلك العرض ولكن من نوقش الحساب يهلك) (٢).

كما كان رسول الله صلى الله عليه وسلم شديد الخوف من ربه تبارك وتعالى، وكان إذا رأى غيماً أو ريحاً عُرف في وجهه، فأشكل ذلك على عائشة رضي الله عنها فقالت: يا رسول الله إن الناس إذا رأوا الغيم فرحوا رجاء أن يكون فيه المطر، وأراك إذا رأيته عرف في وجهك الكراهية، فقال: يا عائشة ما يؤمنني أن

(١) سورة الانشقاق: آية رقم ٨.

(٢) رواه البخاري، كتاب العلم، باب من سمع شيئا فراجعه حتى يعرفه، برقم (١٠٣)، ومسلم، كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها، باب إثبات الحساب، برقم (٢٨٧٦).

يكون فيه عذاب عُذِّب قوم بالريح وقد رأى قوم العذاب فقالوا: {هَذَا عَارِضٌ مُّمْطِرُنَا} (١) (٢).

وفي حديث آخر أن عائشة رضي الله عنها أشكل عليها قول الله تبارك وتعالى: {يَوْمَ تُبَدَّلُ الأَرْضُ غَيْرَ الأَرْضِ وَالسَّمَاوَاتُ وَبَرَزُواْ للّهِ الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ}(٣)، فكانت أول من سأل النبي صلى الله عليه وسلم عن هذه الآية فقالت: أين الناس يومئذ يا رسول الله؟ قال: ((على الصراط)) (٤).

– نزول الوحي في فراشها:

فإنه لم ينزل على رسول الله صلى الله عليه وسلم الوحي في فراش امرأة سواها رضي الله تعالى عنها. فقد ورد في صحيح البخاري مانصه "كان الناس يتحرون بهداياهم يوم عائشة فاجتمع صواحبي إلى أم سلمة فقلن: يأم سلمة والله إن الناس يتحرون بهداياهم يوم عائشة وإنا نريد الخير كمانريده لعائشة فمري رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يأمر الناس أن يهدوا إليه حيث ماكان أو حيث مادار قالت: فذكرت ذلك أم سلمة للنبي صلى الله عليه وسلم قالت: فأعرض

(١) سورة الأحقاف آية رقم ٢٤

(٢) البخاري: (١٨٢٧/٤) برقم: (٤٥٥١).

(٣) سورة إبراهيم:٤٨

(٤) رواه أحمد في المسند برقم (٢٤٠٦٩)، وقال محققوه: إسناده صحيح على شرط مسلم، والحاكم في المستدرك برقم (٣٣٤٤)، وقال: هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه.

عني فلما عاد إلي ذكرت له ذاك فأعرض عني، فلما كان في الثالثة ذكرت له فقال: يأم سلمة لاتؤذيني في عائشة فإنه والله مانزل علي الوحي وأنا في لحاف أمراة منكن غيرها" (١).

وأما نماذج من جهود أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها الدعوية فتتمثل في:

– القيام بالفتوى للنساء:

كان من الصعب على الصحابة رضوان الله عليهم، أو حتى نساء الصحابة معرفة الكثير من أحكام النساء لخصوصيتها. ولقد أدركت أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها ذلك، فحرصت على النقل الدقيق عنه صلى الله عليه وسلم للأحكام التي تتعلق بالنساء والأحكام التي تتعلق بعلاقة الرجل بزوجته، مما لايستطيع الإنسان معرفتها إلا من زوجته حيث كان الرسول صلى الله عليه وسلم حريصا على تعليمها. وكانت الصحابيات إذا أشكل عليهن أمر مما يستحي من سؤاله الرجال سألنها إياه فإن عرفته أجابتهم وإلا سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم عنه ثم نقلته إليهم. وأستمرت رضي الله عنها مرجعاً أساسياً في الأحكام الخاصة بالنساء حيث روت رضي الله عنها مئات الأحاديث بالفتيا المتعلقة بالنساء. وفي الحديث الصحيح: (أن رفاعة طلق امرأته،

(١) صحيح البخاري كتاب فضائل الصحابة/ باب فضل عائشة رضي الله عنها (٣٥٦٤).

فتزوجها عبد الرحمن بن الزبير، قالت عائشة: فجاءت وعليها خمار أخضر فشكت إليها من زوجها وأرتها خضرة بجلدها، فلما جاء رسول الله صلى الله عليه وسلم، والنساء يبصرن بعضهن بعضاً، قالت عائشة: ما رأيت ما يلقى المؤمنات، لجلدها أشد خضرة من ثوبها). (١)

وفي حديث آخر، دخلت فتاة على عائشة تشتكي بأن أباها زوجَّها بابن أخيه وهي كارهة، فأخبرت عائشة النبي محمد صلى الله عليه وسلم، فأرسل إلى أبيها، فجعل الأمر إليها، فقالت: يا رسول الله، قد أجزت ما صنع أبي، ولكني أردت أن أعلم النساء من الأمر شيئًا". (٢)

– مرجع الفتوى لكبار الصحابة والتابعين:

كانت رضي الله عنها تتصدى للفتوى لكبار الصحابة والتابعين،وتعلمهم ماعرفته ووعته عن الرسول صلى الله عليه وسلم، حتى أصبحت حجرتها النبوية الكريمة أول مدرسة فقهية في تاريخ الإسلام يفد إليها الصحابة والتابعين لتلقي العلم والمعرفة، فروى عنها كثير منهم أخذوا العلم منها ونشروه في الأمصار الإسلامية، فصاروا أئمة يُقتدى بهم في العلم والعمل. ومن أشهر هؤلاء رضي الله عنهم عروة بن الزبير، والقاسم بن محمد بن أبي بكر، ومسروق بن الأجدع

(١) صحيح البخاري كتاب اللباس: باب الثياب الخضر رقم (٥٨٢٥). وأخرجه مسلم بنحوه رقم (١٤٣٣).

(٢) السنن الكبرى للنسائي/ كتاب النكاح، البكر يزوجها أبوها وهي كارهة رقم (٥٢٠٦).

وعمرة بنت عبد الرحمن الأنصارية وغيرهم. [1] ونتيجة لعلمها وفقهها أصبحت حجرتها وجهة طلاب العلم حتى غدت هذه الحجرة أول مدارس الإسلام وأعظمها أثراً في تاريخ الإسلام. ولهذا فليس مستغرباً أن يكون لأم المؤمنين عائشة رضي الله عنها آراء فقهية كثيرة، واجتهادات عديدة في الكثير من المواقف والأحداث التي شهدتها الأمة الإسلامية بعد وفاة الرسول صلى الله عليه وسلم.

وهناك الكثير من المواقف لعائشة رضي الله عنها مع الصحابة الكرام رضوان الله عليهم الدالة على فقهها، فكانت تستدرك على بعضهم، ويكون الحق معها فيرجعون إلى قولها، ومن ذلك استدراكها على عمر بن الخطاب رضي الله عنه حين أخبرت أنه روى حديث: "إن الميت يعذب ببعض بكاء أهله عليه" قالت عائشة: "يرحم الله عمر؛ لا والله ما حدَّث رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: أن الله يُعذِّب المؤمن ببكاء أحد، ولكن قال: أن الله يزيد الكافر عذاباً ببكاء أهله عليه" [2].

وراجعت أيضا عبد الله بن عمر رضي الله عنهما عندما كان يقول: "إن الميت ليعذب ببكاء الحي"؛ فقالت رضي الله عنها: "يغفر الله لأبي عبد الرحمن؛ أما إنه لم يكذب؛ ولكنه نسي أو أخطأ؛ إنما مر رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم

(١) انظر: سير أعلام النبلاء، للإمام الذهبي (٢/١٣٦-١٣٩). وتهذيب التهذيب، للحافظ ابن حجر (١٢/٤٦٢).

(٢) صحيح البخاري برقم (١٢٨٨)، وصحيح مسلم برقم (٩٢٩)، واللفظ له.

على يهودية يُبكى عليها، فقال: (إنهم ليبكون عليها، وإنها لتعذب في قبرها)[1]، وعندما صرح رضي الله عنه بكراهته أن يصبح محرماً ويشم منه الطيب، فقالت عائشة رضي الله عنها: يرحم الله أبا عبد الرحمن كنت أطيب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، فيطوف على نسائه، ثم يصبح محرماً ينضخ طيباً [2].

وعن عروة بن الزبير قال: كنت أنا وابن عمر مستندين إلى حجرة عائشة وإنا لنسمع ضربها بالسواك تستن، قال: فقلت: يا أبا عبد الرحمن أعتمر النبي صلى الله عليه وسلم في رجب؟ قال: نعم. فقلت: أي أمتاه ألا تسمعين ما يقول أبوعبد الرحمن؟! قالت: وما يقول؟ قلت: يقول اعتمر النبي صلى الله عليه وسلم في رجب. فقالت: يغفر الله لأبي عبد الرحمن لعمري ما اعتمر في رجب، وما اعتمر من عمرة إلا وإنه لَمَعَهُ. قال وابن عمر يسمع فما قال لا ولا نعم. سكت. ([3]).

ولم تكتف أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها بالتعليم والتوجيه والتصحيح للصحابة، بل كانت تسعى للتطبيق العملي كأن تتوضأ أمام بعضهم لتُعلّمه كيف يتوضأ. ([4])

(١) صحيح البخاري برقم (١٢٨٩)، وصحيح مسلم برقم (٩٣٢)، واللفظ له.
(٢) صحيح البخاري برقم (٢٦٧)، واللفظ له، وصحيح مسلم برقم (١١٩٢).
(٣) صحيح مسلم ج ٢/٩١٦.
(٤) السنن الصغرى للنسائي، كتاب الطهارة، باب مسح المرأة راسها (١/٧٢).

- الاستنارة برأي كبار الصحابة:

بالرغم من كونها رضي الله عنها مرجعاً للفتوى لكبار الصحابة، إلا أن ذلك لم يمنع أن تحيل إلى غيرها مالا تعرفه أو ترى أن هناك من كبار الصحابة من هو أعلم وأعرف منها بهذا الحكم أو ذاك، ومن ذلك ماورد في صحيح مسلم أن شريح بن هانىء سأل عائشة رضي الله عنها عن المسح على الخفين، فقالت: عليك بابن أبي طالب فسله، فإنه كان يسافر مع رسول الله صلى الله عليه وسلم، فسألناه، فقال: جعل رسول الله صلى الله عليه وسلم ثلاثة أيام ولياليهن للمسافر ويوماً وليلة للمقيم (١)

- تصحيح قراءة القرآن الكريم وتفسيره:

كما كانت رضي الله عنها تراجع الصحابة حتى في قراءة القرآن، فقد كان ابن عباس رضي الله عنهما يقرأ: {وَظَنُّواْ أَنَّهُمْ قَدْ كُذِبُواْ} (٢) بتخفيف كذِبوا، فقالت رضي الله عنها: "معاذ الله؛ والله ما وعد الله رسوله في شيء قط إلا علم أنه كائن قبل أن يموت، ولكن لم يزل البلاء بالرسل حتى خافوا أن يكون من معهم يكذبون؛ فكانت تقرؤها: (كذِّبوا) مثقلة (٣).

(١) أخرجه مسلم، ج١/٢٣٢.

(٢) سورة يوسف:آية رقم ١١٠

(٣) صحيح البخاري برقم (٤٥٢٥).

- حفظ السنة النبوية:

ومن جهودها - رضي الله عنها - في حفظ الدين وخدمة السنة النبوية أنها كانت حريصة على بثِّ ما عندها من علم وعدم كتمان ما سمعته في بيت النبوة من الحكمة والموعظة الحسنة، فحفظت للأمة بضعة آلاف من حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم بلغت (٢٢١٠) في الكتب الستة، منها (١٦٤) حديثاً متفق عليه بين البخاري ومسلم، وأنفرد البخاري بـ (٥٤) حديثاً، وأنفرد مسلم(٦٩) حديثًا، والباقي في الصحاح والسنن والمعاجم، والمسانيد. ومعظم ماروته أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها كان مباشراً عن نبي الهدى والرحمة لملازمته له طوال أكثر من ثمان سنوات، فأصبحت حجرتها مقصداً لطلاب الحديث. ([1]).

حادثة الأفك

كان وقع حادثة الأفك عظيماً على أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها المرأة العفيفة الشريفة، فقد كان الاتهام ليس موجها لها فقط، ولكنه أعظم من ذلك فهو موجه إلى عرض رسول الله صلى الله عليه وسلم، فأثره كبير ووقعه أليم على

(١) أنظر سير أعلام النبلاء / عائشة أم المؤمنين (١/٩) ص ١٣٦ ومابعدها، وأنظر إجلاء الحقيقة في سيرة عائشة الصدّيقة، ص:٧١.وأنظر الإجابة لما استدركته عائشة على الصحابة، ص:٣٩

قلوب المسلمين، وبالرغم من عظم المصيبة على بيت رسول الله صلى الله عليه وسلم ألا انها حملت للأمة الإسلامية بشائر الخير والبركة فعرف المسلمون من هم المنافقون أعداء الإسلام وأعداء رسول الله فكان خيرا لهم، وخيرا لعائشة رضي الله عنها وللنبي صلى الله عليه وسلم وللمؤمنين في الدنيا والآخرة.

وكان من أهم مظاهر الشرف والنبل لأم المؤمنين عائشة رضي الله عنها أنها كشفت عن مواقف عظيمة لعائشة رضي الله عنها على الرغم من حداثة سنها، فقد مكثت في مكانها ريثما يعودون بحثاً عنها، ولم تجزع وتضطرب، بل اتصفت بالهدوء والثقة العالية؛ وانتظرت براءتها من فوق سبع سماوات، فتولى المولى تبارك وتعالى الدفاع عن عرض النبي صلى الله عليه وسلم، بإثبات صدق عائشة رضي الله عنها وبراءتها بقرآن يتلى إلى قيام الساعة، كما توعد المولى عز وجل من تولى تلك الشائعة بالعذاب العظيم في الآخرة.

وأما حادثة الأفك فكانت كما روتها عائشة رضي الله عنها أنها خرجت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في غزوة غزاها، وحينما أذنوا بالرحيل قامت عائشة رضي الله عنها لقضاء شأنها تمشي حتى جاوزت الجيش، فلما عادت إلى رحلها تفقدت عقدها فإذا هو قد انسل من عنقها، فذهبت في طلبه، غير أنها لما همت بالعودة وجدت القوم قد ارتحلوا وما دروا أن أم المؤمنين تخلفت عنهم، وما شعر الجماعة الذين كانوا يرحّلون هودجها بخفته. ولم يمض وقت طويل حتى وصلت عائشة رضي الله عنها على بعير يقوده صفوان بن المعطل السلمي الذي

كان قد أوكل إليه النبي صلى الله وعليه وسلم حراسة مؤخرة الجيش، وقدمت عائشة إلى المدينة، فوجدت صدودا من رسول الله صلى الله عليه وسلم حيث كان يقول: كيف تيكم؟.

وبعد أن مرضت عائشة مرضا شديداً طلبت فيه الذهاب إلى بيت أبويها تقول: فبينا نحن على ذلك دخل علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم فسلم ثم جلس، وتشهد رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم قال: أما بعد يا عائشة فإنه قد بلغني عنك كذا وكذا فإن كنت بريئة فسيبرئك الله، وإن كنت ألممت بذنب فاستغفري الله وتوبي إليه، فإن العبد إذا اعترف بذنب ثم تاب تاب الله عليه، قالت: فوالله ما رام رسول الله صلى الله عليه وسلم مجلسه ولا خرج من أهل البيت أحد حتى أنزل الله عز وجل على نبيه صلى الله عليه وسلم، فلما سري عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يضحك، فكان أول كلمة تكلم بها أن قال: ((أبشري يا عائشة، أما الله فقد برأك))، فأنزل الله عز وجل: {إِنَّ الَّذِينَ جَاؤُوا بِالْإِفْكِ عُصْبَةٌ مِّنكُمْ} (١) عشر آيات فأنزل الله عز وجل هؤلاء الآيات براءتي" (٢).

(١) سورة النور آية رقم:١١ ومابعدها عشر آيات في براءة عائشة رضي الله عنها.

(٢) رواه البخاري، كتاب المغازي، باب حديث الإفك، برقم (٣٩١٠)، ومسلم، كتاب التوبة، باب في حديث الإفك وقبول توبة القاذف، برقم (٢٧٧٠)، واللفظ له.

ولقد سمى الله تعالى هذه القصة أفكاً فقال: {إِنَّ الَّذِينَ جَاؤُوا بِالْإِفْكِ}، والإفك كما قال الإمام البغوي رحمه الله: أسوأ الكذب"[1]، وقال الإمام الرازي رحمه الله: الإفك أبلغ ما يكون من الكذب والافتراء."[2].

وفاتها:

عندما حضرت المؤمنين عائشة رضي الله عنها الوفاة جاء عبد الله بن عباس رضي الله عنه يستأذن عليها، فجاء ابن أخيها عبد الله بن عبد الرحمن بن أبي بكر الصديق عند رأسها فأكب عليها فقال: هذا عبد الله بن عباس يستأذن، وهي تموت، فقالت: دعني من ابن عباس. فقال: يا أماه !! إن ابن عباس من صالح بنيك يسلم عليك ويودعك، فقالت: إئذن له إن شئت. قال: فأدخلته، فلما جلس قال ابن عباس: أبشري، فقالت أم المؤمنين: بماذا؟، فقال: ما بينك وبين أن تلقي محمداً والأحبة إلا أن تخرج الروح من الجسد، وكنت أحب نساء رسول الله صلى الله عليه وسلم إليه، ولم يكن رسول الله صلى الله عليه وسلم يحب إلا طيباً. وسقطت قلادتك ليلة الأبواء فأصبح رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصبح الناس وليس معهم ماء، فأنزل الله آية التيمم، فكان ذلك في سببك، وما أنزل الله من الرخصة لهذه الأمة، وأنزل الله براءتك من فوق سبع

(١) معالم التنزيل، للإمام البغوي (٦/٢٢).

(٢) مفاتيح الغيب، تفسير الرازي، للإمام العالم العلامة فخر الدين محمد بن عمر التميمي الرازي (٢٣/١٥٠-١٥١).

سموات، جاء بها الروح الأمين، فأصبح ليس مسجد من مساجد الله إلا يتلى فيه آناء الليل وآناء النهار". فقالت الصديقة الطاهرة: دعني منك يا ابن عباس، والذي نفسي بيده لوددت أني كنت نسياً منسياً ". (١)

ولقد توفيت أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها في المدينة النبوية، ليلة الثلاثاء السابع عشر من رمضان من السنة السابعة، أو الثامنة، أو التاسعة والخمسين للهجرة، في خلافة معاوية بن أبي سفيان رضي الله عنهما، وصلى عليها أبو هريرة رضي الله عنه وسط مقابر البقيع، وكان عمرها يومئذ سبعًا وستين سنة، ودفنت بالبقيع بحسب وصيتها لعبد الله بن الزبير – رضي الله عنه، حيث قالت له: (ادفني مع صواحبي بالبقيع لا أزكي به أبداً). (٢)

(١) صحيح البخاري/ كتاب المناقب برقم ٣٧٧١ . والحاكم في المستدرك ٩/٤ برقم ٦٧٢٦.
(٢) صحيح البخاري، ج٣/٢٥٥.

المبحث الرابع: الكتابات في اللغة الإنجليزية عن أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها

تحفل المؤلفات القديمة والحديثة بكتابات كثيرة عن أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها. ومع ظهور شبكة الانترنت ووسائل التواصل الاجتماعي زادت كثافة هذه الكتابات والتحليلات، حيث تعرضت سيرة أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها للكثير من التشويه والتحريف من قبل كثيرين وخاصة الرافضة الذين ينسبون إليها أعمالا غير صحيحة، وأحاديث مكذوبة رغبة في النيل منها، حتى وصل الحال ببعضهم و-العياذ بالله- الى تكفيرها ولعنها.

ولهذا فإن هذا البحث المختصر لن يتعرض إلى التشويه المتعمد الذي مارسه عدد من مؤلفي الرافضة تحقيقاً لأطماعهم، وشفاء لغليلهم، وإنما سيتم تناول نماذج من الكتابات عن عائشة رضي الله عنها في مجالين فقط هما:

- **الأول: نماذج من كتابات المستشرقين الذين درسوا التاريخ الإسلامي.**
- **الثاني: نماذج من دراسات صدرت باللغة الإنجليزية تتناول سيرة أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها وحياتها.**

أولا: نماذج من كتابات المستشرقين الذين درسوا التاريخ الإسلامي.

حرص كثير من المستشرقين على ترجمة معاني القرآن الكريم، ومعرفة طبيعة الدين الإسلامي وكيف انتشر في أصقاع الأرض خلال فترة قصيرة. وبينما وجدنا أن عدداً قليلا من هؤلاء المستشرقين قادته دراساته وأبحاثه إلى الإسلام بعد أن عرف الحق مثل المستشرق النمساوي محمد أسد الذي أسلم وكتب كتابا جميلاً عن الإسلام بعنوان "الطريق إلى مكة"، إلا أن معظم المستشرقين حاولوا النيل من الإسلام وتعاليمه، فشككوا في نزول القرآن الكريم، وانتقصوا من السنة النبوية المطهرة محاولين إظهار تناقضاتها. ولم تسلم حياة الرسول صلى الله عليه وسلم من هذه الافتراءات التي تحدثت عن تعدد زوجاته صلى الله عليه وسلم، كما تناولت سيرة عائشة رضي الله عنها وزواجه منها لصغر سنها وكونها طفلة لم تبلغ الحلم، وتطرقوا إلى حادثة الأفك، وماإلى ذلك من الأحداث التي شهدتها عائشة رضي الله عنها في حياتها.

ونقتطف مماذكره الأديب عباس محمود العقاد في كتابه «الصديقة بنت الصديق»[1] عن موقف المستشرقين من حادثة الأفك كأنموذج عن هؤلاء المستشرقين حيث يقول العقاد أن المستشرقين الذين لا يزالون يجزمون بتلك الواقعة يشيرون إلى أن: غرض ابن سلول لهو بعينه غرض كل متشبث بحديث الإفك إلى يومنا هذا، ليتخذ منه سبيلاً إلى الطعن في الإسلام ونبي الإسلام،

(١) أنظر الصديقة بنت الصديق/ عباس محمود العقاد ص ٧٠ ومابعدها.

وبخاصة المبشرين من المستشرقين. فمن هؤلاء من غلب عليه أدب التربية واستبعد حديث الإفك كما فعل موير، حيث قال إن سيرة عائشة قبل الحادث وبعده لتوجب علينا أن نعتقد ببراءتها من التهمة (١)، ومنهم من نقل الحكاية وخلطها بالمعجزات التي لا يصدقها غير المسلم، كما فعل واشنطن أيرفنغ في سيرة النبي صلى الله عليه وسلم، فلم يقطع بنفي صريح وترك الباب مفتوحاً للتأويلات والأقاويل. (٢)

ونكتفي بهذا النموذج من كتابات المستشرقين وافتراءاتهم التي جاءت في معظمها مكررة، وبعيدة عن الحقيقة. كما سيتم الاكتفاء بتفنيد شبهة زواج أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها والتي أثارها عدد من المستشرقين بأن عائشة رضي الله عنها عندما خطبها الرسول صلى الله عليه وسلم لم يكن هو أول المتقدمين لخطبتها بل سبقه غيره، فقد ذكر بعض المؤرخين أن جبير بن المطعم بن عدي تقدم لخطبة عائشة، وعلى هذا فأم المؤمنين كانت في عمر الزواج، وكانت تطيقه فلا غرو إذا أن يخطبها النبي صلى الله عليه وسلم. كما أن زواجه منها كان أصلاً باقتراح من خولة بنت حكيم على رسول صلى الله عليه وسلم؛ لتوكيد الصلة مع أحبّ الناس إليه أبي بكر الصدّيق رضي الله عنه، لتربطهما أيضاً برباط المصاهرة الوثيق، وهذا دليل على أنها كانت في سن زواج. وأخيرا فعائشة

(١) THE BIOGRAPHY OF MAHOMET, AND RISE OF ISLAM. CHAPTER SIXTEENTH. PP ٥٧, ٥٨.

(٢) Mohammed and His Successors. Washington Irving, - CHAPTER XXII. Expedition of Mohammed against the Beni Mostalek..

رضي الله عنها لم تكن أول فتاة تُزفّ في تلك البيئة إلى رجل في سنّ أبيها، ولن تكون كذلك أُخراهنّ، فلقد تزوّج عبد المطلب الشيخ من هالة بنت عمّ آمنة في اليوم الذي تزوّج فيه عبد الله أصغر أبنائه من فتاة هي في سنّ هالة وهي آمنة بنت وهب، وتزوّج عمر بن الخطّاب من بنت علي بن أبي طالب رضي الله عنهما وهو في سنّ جدّها، كما أنّ عمر بن الخطّاب عرض بنته الشابة حفصة على أبي بكر الصدّيق رضي الله عنهما وبينهما من فارق السنّ مثل الذي بين الرسول صلى الله عليه وسلم وعائشة رضي الله عنها.

نماذج من الكتابات عن أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها باللغة الإنجليزية

أثناء البحث عن كتب تتناول سيرة أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها لفت نظري أن معظم الكتب والدراسات التي تحدثت عن أم المؤمنين انحصرت معظم اهتماماتها في قصة الأفك وماتعرضت له عائشة رضي الله عنها أثناء هذه الأزمة الخانقة، ثم زواجها المبكر من الرسول صلى الله عليه وسلم وكونها صغيرة في السن، وثالثها كونها من أوائل النساء المسلمات في بداية العهد الإسلامي التي دافعت عن حقوق المرأة المسلمة، وأخيرا تصدرها للتعليم والإفتاء وفقاً لما تعلمته ووعته اثناء حياتها مع الرسول صلى الله عليه وسلم.

وأول هذه الكتب التي تحدثت عن أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها باللغة الإنجليزية يعد من الكتب الفريدة من نوعها حيث قامت بتأليفه واحدة من أوئل المتخصصات في التاريخ الإسلامي في أمريكا وهي الدكتورة نبيه أبوت Nabia Abbott أستاذ الدراسات الإسلامية في معهد الدراسات الشرقية بجامعة شيكاغو عام ١٩٤٢ وعنوان الكتاب (عائشة حبيبة محمد) (Aisha The Beloved of Muhammad.) (١)

(١) Nabia Abbott, Aisha The Beloved of Muhammed, The University of chicago Press ١٩٤٢. Pp ٨١-١٢٨, ١٦٥-١٧٦, ٢٠٢- ٢٢٣

وتَميز الكتاب ليس في كونه من أوائل الكتب التي تناولت سيرة أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها باللغة الإنجليزية فقط، ولكن لطريقة كتابة الكتاب حيث جاء على شكل سرد لقصة بأحداث متتابعة عاشتها أم المؤمنين خلال حياتها التي أمتدت لأكثر من ٧٠ سنة، حيث تقوم الكاتبة بسرد الأحداث بشكل قصصي مشوق مع التوثيق المرجعي من المصادر الأصلية، يضاف إلى ذلك الطريقة العلمية الحديثة في التقصي والبحث قبل الكتابة مما أضفى على الكتاب بعدا علمياً فريدا، وأخيرا كون الأستاذة الدكتورة نبيه من المهتمات بحقوق المرأة في الإسلام فوجدت في سيرة أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها مايؤكد أن المرأة في الإسلام كانت تتمتع بحقوق سياسية واجتماعية ومساواة حقيقية تتفوق على ماهو موجود في عصرنا الحاضر في عالمنا الإسلامي.

لقد توصلت المؤلفة من خلال تناولها لسيرة أم المؤمنين عائشة إلى أنها رضي الله عنها مهما قيل عنها من إدعاءات وأباطيل إلا أنها أثبتت أن المرأة المسلمة قادرة على المشاركة بالرأي والسياسة والتعليم وأنها كل ماكانت ذات حجة قوية تدافع عنها كلما كان أدعى لها لتكون على قدم المساواة مع الرجل.

كما كان من ضمن الكتب الإنجليزية المتوفرة في مكتبة جامعة الينوي في شامبين كتاب عن عائشة رضي الله عنها بعنوان (Umm al-Mu'minin 'A'ishah Siddiqah Life and Work). (١)

الكتاب جاء بعنوان (أم المؤمنين عائشة الصديقة حياتها وأعمالها) للكاتب محمد معين وتناول حياة أم المؤمنين عائشة وسيرتها متحدثاً عن علاقتها رضي الله عنها بزوجها الرسول صلى الله عليه وسلم. وركز الكتاب على بداية حياتها الزوجية وكيف أنها تميزت بالذكاء والفطنة وقوة الحفظ والشخصية القوية مع العديد من الصفات التي جعلها تكسب حب الرسول صلى الله عليه وسلم وتقديره. كما أشار الكتاب إلى أن عائشة كانت في بعض تصرفاتها مثيرة للجدل واتهمت بسبب ذلك بعدد من التصرفات الخاطئة، وأنها لم تكن نقية، ولكنها في المقابل تعد من أعظم النساء في الإسلام. ولم يتعرض الكتاب تفصيلا لطبيعة العلاقة بين الرسول صلى الله عليه وسلم ونسائه والفرق بينها وبين خديجة كما لم يتعرض لحادثة الأفك كثيرا وإنما أكتفى بالعموميات.

(١) Moin, Mumtaz. (١٩٨٠). Umm al-Muminin Aishah Royal Book, Karachi. Chapter ١- pages ٤٠, ٤١, ٤٤, ٤٥, Chapter VII- pages ١٣٠, ١٣١, ١٣٤, ١٣٥, ١٣٩, ١٤٨, ١٤٩.

وأما الكتاب الثالث فجاء بعنوان (القصة الخفية: تاريخ زوجات الرسول صلى الله عليه وسلم) للكاتب تمام خان Untold: A History of the Wives of Prophet Muhammad (١)

وتحدث الكتاب عن كون عائشة رضي الله عنها لم ترزق بأولاد وشعورها حيال ذلك وأنها كانت دائما تشعر بالحزن لهذا السبب. كما تناول الكتاب بشيء من التفصيل حادثة الأفك والاتهامات التي طالت عائشة وكيفية علاقتها مع الاخرين. الكتاب وصف عائشة بالشابة الجميلة سريعة الانفعال كثيرة الغيرة على الرسول صلى الله عله وسلم حتى مع خديجة رضي الله عنها رغم أنها توفيت قبل زواجها من الرسول صلى الله عليه وسلم، وهذا حدث أثناء سنوات الزواج الأولى. وتحدث الكتاب عن علاقتها مع علي بن أبي طالبرضي الله عنه واتهامات الشيعة لها. ويختم الكتاب بأن عائشة كانت مشهورة جدا ومثيرة للجدل في العديد من التصرفات التي قامت بها خاصة بعد وفاة الرسول صلى الله عليه وسلم واتخاذها مواقف سياسية وأنه تم وصفها بأنها أم المسلمين والاسلام كما تناول الكتاب أن عائشة روت ٢١٢٠ حديثا عن الرسول صلى الله وعليه وسلم.

(١) **Kahn, Tamam. (٢٠١٠). Untold: A history of the wives of Prophet Muhammad. Rhinebeck, NY: Monkfish Book Pub.**
pages: ٣٤, ٣٥, ٣٦, ٣٧, ٣٩, ٤٠, ٤٢

أما الموضوع الرابع فكان عبارة عن محاضرة في أربعة أجزاء حول قصة حادثة الأفك للكاتب ياسر قاضي بعنوان "The Story of The Ifk " والذي تناول قصة حادثة الأفك بالوصف التفصيلي لها في موقع (Islamic Knowldge) (١) وأنها وقعت بعد غزوة الأحزاب أو بني المصطلق في السنة السادسة للهجرة وكيف عانت أم المؤمنين عائشة من هذا الافتراء حتى نزلت براءتها في عشر آيات من القرآن الكريم في سورة النور. وسعى الكاتب في محاضرته إلى توضيح الحادثة وكيف تبين المنافقون فيها من المسلمين الصادقين المخلصين. وتحدث عن عدد من الدروس الإيمانية المستفادة من هذه الحادثة لتقوية شوكة المسلمين، وتقدير الله سبحانه وتعالى لعائشة رضي الله عنها.

وفي كتاب آخر تناول تراث أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها بعنوان "السياسة والنوع وماضي الإسلام: تراث عائشة بنت أبي بكر " Politics, Gender, and the Islamic Past: The Legacy of Aisha Bint Abi Bakr للكاتب (Spellberg, Denis) سبيلبرغ قال فيه أن عائشة كانت عالمة بالقرآن والتفسير وعلم الأنساب والطب العام وتتولى الفتوى في الكثير من الشؤون الدينية . وبعد وفاة النبي محمد صلى الله عليه وسلم أصبحت مصدر ثقة لنقل الحديث النبوي وتعليمه وخاصة ماله علاقة بحياة الرسول صلى الله عليه وسلم وطريقة صلاته وقراءته للقرآن. وخلال حياتها كانت تدافع عن تعليم نساء

(١) Q. (٢٠٠٨, August ٢٦). The Story of the Ifk. Retrieved from https://qaazi.wordpress.com/٢٠٠٨/٠٨/٢٦/the-story-of-the-ifk/

المسلمين الدين، وعرفت بتأسيسها أول مدرسة لتعليم النساء أمور دينهم كما كانت عائشة تحضر الدروس التي يكون فيها الرجال مع وجود حاجز بين الرجال والنساء. وكانت تصحح للصحابة وخلال السنتين الأخيرتين من حياتها خصصت وقتها للحديث عن سيرة الرسول صلى الله عليه وسلم حرصا منها على تصحيح المفاهيم الخاطئة حول حياته صلى الله عليه سولم، ولهذا كان تأثيرها السياسي واضحا في الكثير من المواقف التي عايشتها. (١)

وفي مقال آخر تناول مقارنة بين حياة كل من أم المؤمنين خديجة رضي الله عنها وأم المؤمنيين عائشة رضي الله عنها في بيت رسول الله صلى الله عليه وسلم بعنوان "دراسة عن خديجة وعائشة ورؤية من كتبوا عنهما القدماء والمعاصرين" متحدثا عن سيرتهما الذاتية في كنف الرسول صلى الله عليه وسلم ولم يتضمن جواتب نقدية مباشرة لعائشة رضي الله عنها. (٢)

---

(١) Politics, Gender, and the Islamic Past

Spellberg, D. A. (١٩٩٤). Politics, gender, and the islamic past: The legacy of aisha bint abi bakr.: Columbia University Press. New York, pg ٢٧- ٣٣, ٥٨-٨٤, ١٤٠-١٦٥,

(٢) **H., & S, N. (٢٠١٦, May ٠١). Khadīja and ʻĀ'isha: A study of premodern and modern scholarly portrayals. Retrieved from *http://hdl.handle.net/*٢١٤٢/٩٠٤٤٨**

وفي الكتاب الخامس بعنوان (The Heirs of the Prophet) "ورثة النبي" للكاتب الأمريكي (Barnaby Rogerson) بدأ حديثه عن أم المؤمنيين عائشة رضي الله عنها بوصفه لوضعها وهي مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في مرض موته حينما كان في منزلها رضي الله عنها مشيراً إلى أن النبي محمد صلى الله عليه وسلم كان في منتصف الستينات، بينما كانت أم المؤمنين عائشة لاتتجاوز ١٨ عاماً والتي كانت مخطوبة للنبي في عمر السادسة وتزوجت في عمر العاشرة.

وذكر المؤلف حديث أم المؤمنين عائشة وهي تلهو بالألعاب حينما أبلغتها والدتها بأنها سُترف إلى النبي محمد صلى الله عليه وسلم في ذلك اليوم مشيراً إلى أنها لازالت تعد طفلة في –العرف الحاضر– بالرغم من أنها قد نضجت جسدياً. وأكد الكاتب على أن الزواج في ذلك الوقت لم يكن شيئا مستغربا لا من قبل النبي صلى الله عليه وسلم ولا من قبل المعاصرين من الصحابة فهم قد أعتادوا على زواج الصغيرة من الكبير في السن. وبالرغم من أن المؤلف روجرسون أعترف بأنه في بداية بحثه عن أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها شعر بعدم الراحة لهذا الزواج المبكر، ولكنه بعد ذلك وصف كيف تغير رأيه حول هذا الموضوع حينما أتيحت له الفرصة للعيش مع مجموعة من أبناء البادية أثناء رحلاته الميدانية البحثية، حيث يؤكد أن أهل البادية لايسجلون تاريخ ميلاد أبنائهم ولهذا لايكون لديهم تاريخ دقيق عن العمر.. وبدلا من أن ينظر إلى فترة بلوغ

الفتى والفتاة في الغرب ب (١٨ سنة)، فإن أهل البادية يعتبرون مرحلة البلوغ هي بمجرد النضج الجسدي لإكتمال أنوثة الرجل والمرأة. ويؤكد المؤلف أيضاً أنه تبعاً لذلك ينبغي أن لاننظر إلى عائشة على أنها ضحية زواج مبكر في الطفولة ولكن ينبغي النظر إليه على أنه زواج ناضج في مجتمع متوازن.

ويصف الكاتب عائشة رضي الله عنها على أنها محبة للرسول صلى الله عليه وسلم وقائمة بكافة الواجبات الزوجية، مشيرا إلى أنها ومن شدة حبها للرسول صلى الله عليه وسلم عُرف عنها الغيرة الشديدة تجاه زوجات النبي الآخريات. ويؤكد الكاتب أن زواج الرسول صلى الله عليه وسلم من عائشة كان له تأثير كبير ليس على حياتها الاجتماعية والفكرية فحسب ولكن أيضا على حياة الرسول صلى الله عليه وسلم.

ولم يغفل الكاتب الإشارة إلى محنة عائشة رضي الله عنها حينما تم إتهامها في قصة الأفك حيث قدم وصفا كاملا للحادثة وكيف أثر عليها وعلى الرسول صلى الله عليه وسلم نفسيا واجتماعيا حتى نزل القرآن الكريم مؤكداً براءتها من هذه الحادثة، ويؤكد الكاتب أيضا بأن نزول القرآن لتبرئة عائشة هو تقدير من المولى عز وجل لها. وأشار الكاتب إلى الدور المهم الذي قامت به عائشة في الحفاظ على السنة النبوية ونقلها من خلال قربها من الرسول صلى الله عليه وسلم نظرا لما تميزت به من قوة الذاكرة حتى بعد تقدمها في السن حيث كانت قادرة على الحديث عن التفاصيل الدقيقة عن فعله تجاه الكثير من أمور الحياة

اليومية، واستمرت في رواية الحديث وتعليمه حتى وفاتها بعمر (٧٤ سنة). ويشير الكاتب أيضا إلى أن رواية الحديث عن الرسول صلى الله عليه وسلم من قبل عائشة وأمهات المؤمنين الآخريات أدى دورا فعالا في تشكيل المجتمع الإسلامي في بدايته حتى يومنا هذا. (١)

وفي كتاب خامس جاء بعنوان (Aisha: The Wife, the Companion, the Scholar) "عائشة الزوجة والرفيق والمعلم" للكاتب (Resit Haylamaz) ريزيت هيلماز تناول في بدايته خطبة الرسول صلى الله عليه وسلم لأم المؤمنين عائشة رضي الله عنها والأحداث التي صاحبت ذلك دون الإشارة إلى موضوع عمرها والذي كان محل جدل عند كثيرين ممن كتبوا عن زواج أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها، ولكنه يؤكد على أن محمد صلى الله عليه وسلم كان أرملا عند خطبته لعائشة بينما كانت عائشة بكراً مشيرا إلى الفارق العمري الكبير بينهما. وبالرغم من هذا الفارق العمري الكبير إلا أن زواجها من الرسول صلى الله عليه وسلم كان يعني مسؤوليات كبرى لأم المؤمنين تجاه جميع المسلمين وهي في عمر صغير.. كما تناول هيلماز قصة الأفك بتفاصيلها وأنها إفتراء كاذب من منافقي

(١) Rogerson, B. (٢٠٠٨). The heirs of Muhammad: Islams first century and the origins of the Sunni-Shia split. Woodstock, NY: Overlook. pg. ٨٠-١٢٦.

المدينة على أم المؤمنين رضي الله عنها من غير وجه حق حيث كان هدفهم فقط الإساءة إلى سمعة الرسول صلى الله عليه وسلم من خلال إتهام أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها في شرفها. وأشار الكاتب إلى أن محمد صلى الله علي وسلم لم يصدق هذا الأفك الذي رموا به أم المؤمنين.

وعلق الكاتب على إسهام أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها في نقل السنة النبوية وخاصة ماله علاقة بخصوصيات أفعاله صلى الله عليه وسلم حيث كانت الشاهد الأدق لكثير من المواقف التي عاشتها مع النبي محمد صلى الله عليه وسلم طوال مايقارب عشر سنوات.

ويشير الكاتب إلى أن مواقف عائشة رضي الله عنها بعد وفاة الرسول صلى الله عليه وسلم تجاه عدد من القضايا لم تكن جميعها ناجحة. وأخيرا يشير إلى أن أم المؤمنين عائشة استمرت في نقل الحديث والافتاء للصحابة حيث كان يزورها كبار الصحابة والتابعين في منزلها بجوار مسجد النبي صلى الله عليه وسلم للتزود من علمها وسؤالها عن بعض القضايا وماهو رأي الرسول صلى الله عليه وسلم يعمل تجاه هذه القضايا. [١]

(١) Resit Hayalamaz (٢٠١٢).Aisha, The Wife, The Companion, The Scholar. Tughra Books and Isik Yaymlan, New jersy

خـاتمـة :

لم تكن أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها أمرأة عادية، فقد حظيت بحب رسول الله صلى الله عليه وسلم، كما تميزت بحدة الذكاء وقوة الحفظ مما جعلها أول أمرأة تفتي في الإسلام وتتخذ مواقف سياسية بناء على رؤيتها للأحداث التي عاشتها.

ومن خلال المقارنة بين الكتابات التي تناولت سيرة أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها ومواقفها الدعوية، تبين أن هناك الكثير من التشابه في هذه الكتابات حيث يمكن الإشارة إليها بالنقاط التالية:

- أن سيرة أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها مثلت للكثير من الباحثين سواء كانوا مسلمين أو غيرهم نموذجا للمرأة المسلمة الحقيقية التي طبقت تعاليم الإسلام كما عرفتها وأدركتها بعيشها في كنف النبي صلى الله عليه وسلم، وتعلمها منه خلال مايقارب عشر سنوات.كما أن سيرتها قدمت المرأة المسلمة المتسامحة صاحبة الحقوق المتساوية بعيداً عن تهويلات المستشرقين والآفاقين ممن يدعو الإسلام وساروا في ركاب هؤلاء المستشرقين مدعين أن الإسلام يحتقر المرأة وينتقص منها ومن حقوقها الإنسانية.

- الدراسات والأبحاث التي تناولت سيرة أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها كان لها جانبين سواء كانت باللغة العربية أو الإنجليزية، الجانب الأول كتابات حيادية منصفة أشارت إلى الوقائع والأحداث بتجرد وبعيداً عن الأهواء

والتعصب والتحزب، فجاءت خلاصة أبحاثهم ودراستهم متطابقة مع الوقائع التي وردت في كتب الصحاح، وكتابات أخرى نظرت إلى مشاركات أم المؤمنين السياسية ومواقفها على أنها تدخلات لاتعني المرأة ولاشأن لها بها، كما أن هذه الفئة من الباحثين نظروا إلى قصة الأفك على أنها حقيقة واقعة، فجاءت نتائج دراساتهم وأبحاثهم متوافقة مع مايدعيه الروافض من افتراءات وكذب تجاه أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها وخاصة حول موقفها من علي بن أبي طالب رضي الله، وكأن تبرئة القرآن الكريم لها لم يشفع لها في إبعاد هذه الإفتراءات متناسين محبة الرسول صلى الله عليه وسلم لها واختياره منزلها في مرض موته. وهذه الكتابات لايعتد بها في كتابة الجهود الدعوية لأم المؤمنين عائشة، فهي لاتمثل واقع المسلمين ولاواقع النبي صلى الله عليه وسلم في تعامله مع أزواجه كلهم رضي الله عنهم.

- لم تخرج المواقف الدعوية لأم المؤمنين عائشة رضي الله عنها عن ثلاثة مواقف رئيسة مهمة وهي، كونها أول أمراة في الإسلام تتصدى للإفتاء، وثانيها حرصها على الحفاظ على أفعال الرسول صلى الله عليه وسلم وأقواله ونقلها للصحابة والتابعين بتفاصيلها الدقيقة مع غضبها حينما تسمع كلاما أو فعلا يُنسب للرسول صلى الله عليه وهو غير صحيح إلا وتبادر إلى تصحيحه وبيان الحقيقة فيه تفصيلا بالإشارة إلى الموقف أو الفعل الذي قام به الرسول صلى الله عليه وسلم بكل دقة. وثالث هذه المواقف تقدير كبار

الصحابة والتابعين لها، واستشارتها في القضايا الفقهية التي تعرض لهم، وكذلك الاستنارة برأيها في كثير من المواقف السياسية بعد وفاة الرسول ﷺ.

- أخذت قصة الأفك مساحة واسعة جدا من الكتابات التي تناولت أم المؤمنين عائشة رضي الله، مع أن القرآن برأها بعشر آيات تتلى إلى يوم القيامة، وورد في صحيح البخاري تفاصيلها كاملة على لسان عائشة رضي الله عنها، ولكن الذين في قلوبهم مرض تجاه أمهات المؤمنين رضوان الله عليهم لازالوا يرددون هذه القصة للنيل ليس من أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها فقط، ولكن القصد الإساءة إلى الرسول صلى الله عليه وسلم وإلى دعوته وإلى الإسلام كنظام حياة متكامل.

- من الغريب أن الكتابات الغربية التي تناولت سيرة أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها لم تركز كثيرا على زواجها المبكر، وتحاول التعريض برسول الله صلى الله عليه وسلم كما فعل عدد من الباحثين الذين يتحدثون العربية ويدعون أنهم منصفين، فنجد على سبيل المثال أن الباحث الأمريكي (برنابي روجرسون Barnaby Rogerson) في كتابه عن عائشة (The Heirs of the Prophet) "ورثة النبي" أكد أنه في بداية بحثه كان متفاجئا من العمر الصغير لعائشة، ولكن بعد معبشته في البادية استكمالا لدراسته الميدانية لفترة أدرك أن هذا التصرف لم يكن شيئا مستغرباً، فقد أعتادوا على زواج الصغيرة من الكبير في السن. كما أن أهل البادية لايسجلون تاريخ ميلاد أبنائهم ولهذا

لايكون لديهم تاريخ دقيق عن العمر.. وبدلا من أن ينظر إلى فترة بلوغ الفتى والفتاة في الغرب ب (١٨ سنة)، فإن أهل البادية يعتبرون مرحلة البلوغ هي بمجرد النضج الجسدي لإكتمال أنوثة الرجل والمرأة. ويؤكد المؤلف أيضاً أنه تبعاً لذلك ينبغي أن لاننظر إلى عائشة على أنها ضحية زواج مبكر في الطفولة ولكن ينبغي النظر إليه على أنه زواج ناضج في مجتمع متوازن.

المراجـــع:

١- الأصبهاني: أبو نعيم أحمد بن عبد الله/ **حلية الأولياء وطبقات الأصفياء**/ /بيروت/ دار الكتب العلمية/ ١٤٠٩.

٢- ابـن أبي شـيبة: أبـو بكـر العبـسي/ **الأدب** / تحقيـق د. محمـد رضـا القهـوجي/ بيروت/ دار البشائر الإسلامية/ الطبعة الأولى، ١٤٢٠هـ

٣- ابن تيمية: **شبهات حول الصحابة والرّدّ عليها/ أم المؤمنين عائشة رضي الله عنهـا**/جمع وتقـديم وتحقيـق/ محمـد مـال الله/ الطبعـة الأولى/الريـاض/ ١٤١٠هـ – ١٩٨٩م

٤- ابن حجر: أبو الفضل أحمد بن علي العسقلاني/ **الإصابة في تمييز الصحابة**/ تحقيق: عادل أحمد عبد الموجود وعلى محمد معوض/ بيروت/ دار الكتب العلمية/ الطبعة الأولى ١٤١٥.

٥- ابن حجر: أبو الفضل أحمد بن علي العسقلاني/ **تهذيب التهذيب**/ الهند/ مطبعة دائرة المعارف النظامية/ الطبعة الأولى، ١٣٢٦

٦- ابن حنبل: أبو عبد الله أحمد بن محمد / **المسند**/ بيروت/مؤسسة الرسالة الطبعة الأولى: ١٤٢١.

٧- ابن سعد: أبو عبد الله محمد بن سعد البغدادي / **الطبقات الكبرى**/ تحقيق: محمد عبد القادر عطا/ بيروت/ دار الكتب العلمية/ الطبعة الأولى، ١٤١٠

٨- ابن كثير: الحافظ عماد الدين أبي الفداء إسماعيل بن عمر / **البداية والنهاية**/ دار ابن كثير/دمشق/ بيروت/ الطبعة الثانية ١٤٣١

٩- ابـن القـيم الجوزيـة/ **زاد المعـاد فـي هـدي خيـر العبـاد**/ تحقيـق شـعيب الارنـاؤوط وعبدالقادر الارناؤوط/ مؤسسة الرسالة/ بيروت/ الطبعة الثالثة ١٤١٨.

١٠-أبـو داود: سـليمان بـن الأشـعث السجـستاني/ **سـنن أبـو داود**/ تحقيـق شـعيب الأرناؤوط ومحمد كامل قربللي/ مؤسسة الرسالة/ بيروت ٢٠١١

١١-أحمد: الدكتور مهدي رزق الله/ **السيرة النبوية في ضوء المصادر الأصلية**/ دراسة تحليلية/ مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية الرياض/ الطبعة الأولى ١٤١٢.

١٢-البخاري: ابي عبدالله محمد بن اسماعيل /**صحيح البخاري** / دار السلام للنشر والتوزيع/ الرياض/ ١٤١٧.

١٣-البغوي: أبو محمد الحسين بن مسعود / **معالم التنزيل في تفسير القرآن**/ الرياض/ دار طيبة للنشر والتوزيع/ الطبعة الرابعة ١٤١٧.

١٤-الترمذي: محمد بن عيسى/ **الجامع الكبير لسنن الترمذي**/ بيروت/ دار الغرب الإسلامي/ ١٩٩٨.

١٥- الذهبي: شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد/ **سير أعلام النبلاء** /بيروت/ مؤسسة الرسالة/ الطبعة الثالثة، ١٤٠٥

١٦-الرازي: أبو عبد الله محمد بن عمر فخر الدين/ **مفاتيح الغيب**/: **التفسير الكبير** بيروت/ دار إحياء التراث العربي/ الطبعة الثالثة/ ١٤٢٠.

١٧-الزركشي: أبو عبد الله بدر الدين محمد بن عبد الله بن بهادر/ **الإجابة لما استدركت عائشة على الصحابة** تحقيق وتخريج: د رفعت فوزي عبد المطلب، مكتبة الخانجي/ القاهرة الطبعة: الأولى، ١٤٢١ هـ - ٢٠٠١ م

١٨-الطبري: محب الدين احمد بن عبدالله/ **السمط الثمين في مناقب أمهات المؤمنين** / القاهرة/ مكتبة الكليات الأزهرية/ بدون تاريخ.

١٩-الطريفي: الجوهرة بنت صالح / **سيرة أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها وجهودها في الدعوة والاحتساب** رسالة ماجستير غير منشورة/ كلية الدعوة والإعلام جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية ١٤١٨

٢٠-القزويني: أبو عبد الله محمد بن يزيد/ **سنن ابن ماجه**/ تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي/ المكتبة العلمية/ بيروت ٢٠٠٩ .

٢١-قطب: محمد علي/**عائشة رضي الله عنها معلمة الرجال والأجيال**/ مكتبة القرآن للطبع والنشر/ بيروت.

٢٢-المحجوب: ياسين الخليفة الطيب/ **إجلاء الحقيقة في سيرة عائشة الصدّيقة** /الرياض/ مؤسسة الدرر السنية.

٢٣-مسلم: أبي الحسين مسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري/ صحيح مسلم/ تحقيق محمد فؤاد عبدالباقي/ دار إحياء التراث العربي/ بيروت.

٢٤-عثمان: حسن/ **منهج البحث التاريخي**/ الناشر: دار المعارف سنة النشر: ٢٠٠٠ رقم الطبعة: ٨.

٢٥- العقاد: عباس محمود/ **الصديقة بنت الصديق**/ دار هنداوي/ القاهرة ٢٠١٣.

٢٦- العطا: صالح بن محمد/ **حبيبة الحبيب أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها**/ الكويت/ الطبعة الأولى ٢٠٠٨.

٢٧- الندوي: سليمان/ **الدر الثمين من سيرة أم المؤمنين/ عائشة رضي الله عنها**/ الطبعة الأولى ٢٠٠٩/ الكويت.

٢٨- النسائي: أبي عبدالرحمن احمد بن شعيب/ **السنن الكبرى** /بيروت/ مؤسسة الرسالة/ الطبعة الأولى.

٢٩- النيسابوري: أبو عبد الله الحاكم محمد بن عبد الله/ **المستدرك على الصحيحين**/تحقيق مصطفى عبد القادر عطا/ بيروت/ دار الكتب العلمية/ ١٤١١ – ١٩٩٠ ١٤٢١

المراجع الأجنبية

١- Abbott :Nabia , **Aisha The Beloved of Muhammad**, The University of Chicago press ١٩٤٢.

٢- Hayalamaz: Resit (٢٠١٢). **Aisha, The Wife, The Companion, The Scholar**. Tughra Books and Isik Yaymlan, New jersy.

٣- Kahn, Tamam. (٢٠١٠). **Untold: A history of the wives of Prophet Muhammad**. Rhinebeck, NY: Monkfish Book Pub.

٤- Muzammil, H. Siddiqi, Prophet Muhammad's Wife Ayesha,

٥- Rogerson, B **The Heirs of the Prophet, . (٢٠٠٨). The heirs of Muhammad: Islams first century and the origins of the Sunni-Shia split**. Woodstock, NY: Overlook.

Politics, Gender, and the Islamic Past.

٦- Spellberg, D. A. (١٩٩٤). **Politics, gender, and the islamic past: The legacy of aisha bint abi bakr.**: Columbia University Press. New York, pg ٢٧- ٣٣, ٥٨-٨٤, ١٤٠-١٦٥

٧- (٢٠٠٨, August ٢٦). The Story of the Ifk. Retrieved from https://qaazi.wordpress.com/٢٠٠٨/٠٨/٢٦/the-story-of-the-ifk/

٨- H., & S, N. (٢٠١٦, May ٠١). Khadīja and ʻĀ'isha: A study of premodern and modern scholarly portrayals. Retrieved from http://hdl.handle.net/٢١٤٢/٩٠٤٤٨